أهلها كانوا يريدون ان تتزوج لكنهم اقتنعوا اخيرا بعملها كمغنية

ميليسا: احمد الله لأنه منحني الصوت والشكل معا!

بيروت ـ «القدس العربي»

من زهرة مرعي:

«بدي منك» هو عملها الغنائي الأول الذي قدمها الى الجمهور كصوت غنائي جديد. أما بداياتها فكانت مع أغنية «ليل يا ليل» المنفردة والتي صورتها فيديو كليب. ميليسا دخلت عالم الغناء مع طنة ورنة حيث أثار اسمها حساسية تشبيهه باسم الفنانة اليسا. لكن هي تعلن وبكل صراحة أن الاسم فرض عليها من احدى الصحافيات، وهي لا تريد فتح حرب من خلاله مع أحد.

مع ميليسا كان هذا الحوار التعارفي:

■ كيف دخلت عالم الاحتراف؟

■ **أتميز بصوت جميل منذ الطفولة، والغناء كان هوايتي التي مارستها منذ كنت على مقاعد الدراسة في الاحتفالات المدرسية وأمام الأتراب وتالياً في اطار العائلة التي رغبت بأن يكون غنائي في حضرتها دون سواها. لكن لاحقاً شجعني الأصدقاء كثيراً لدخول عالم الفن فقلت لأجرب حظي فيما كان الأهل يرغبون بأن أجد عريساً وأبتعد عن الفن. لكن مؤخراً تقبلوا الفكرة حيث تابعت مع والدي مقابلة مسجلة لي على التلفزيون وشعرت بأنه كان فرحاً ولم يكن له أي تعليق سلبي، بل أثنى على قدرتي في الحوار.**

■ هل هذا يعني أنك وضعت الأهل أمام الأمر الواقع؟

■ **مرت الأمور بالتدريج فكنت أبدي رغبتي بالغناء رويداً رويداً. بداية صاروا يشاهدون صوري في المجلات. لكني صورت الفيديو كليب الأول في حياتي دون معرفتهم حيث كنت أخرج لتصويره نهاراً. وبعد انتهاء التصوير كنت أتساءل بيني وبين نفسي عن ردة فعلهم لدى مشاهدتي؟ بالنهاية قررت في حال ردة الفعل السلبية أن أقول هذه فتاة أخرى خاصة وأن اسمي ليس حقيقياً. والدي اكتشف أمر الفيديو كليب من الناس. ولم أكن في خوف كبير من ردة فعله لأن العمل كان محتشماً جداً وليس فيه ما يخدش العين.**

■ ومن قدمك للملحن والمنتج جان صليبا؟

■ **تابعته في برنامج لمن يجرؤ فقط وعلمت بأنه ساعد في انطلاقة العديد من الفنانات وتمنيت اللقاء به، الا أن حصلت رقم هاتفه من صديق مشترك. وعندما اتصلت به وعلم بأني أحمل لقب «مس ميديترانيه» اعتقد بأني أتكل على جمالي وطلب مني أن أغني فضحكت ملياً قبل أن أغني مقطعاً لنجوى كرم. وقد أنهى المكالمة بأن طلب مني اللقاء في الأستديو بعد عودته من مصر. وعندما عاد اتصل بي لموافاته الى استديو ناصر الأسعد للخضوع لاختبار الصوت. بعدها طلب مني التوقف عن البحث عن شركة انتاج والالتزام بالعمل معه كمنتج لأعمالي.**

■ ماذا عن الأغنية المنفردة؟

■ **عنوانها «ليل يا ليل» من كلمات نبيل أبو عبدو وألحان جان صليبا وتوزيع جان ماري رياشي وتصوير ميرنا خياط. وحالياً أسعى لتصوير أغنية «كم سنة» من كلمات نادر عبد الله وألحان جان صليبا وتوزيع ناصر الأسعد، وسيتم تصويرها مع ميرنا خياط وطوني أبو الياس.**

■ كيف وافقت على اسم ميليسا؟

■ **عندما نزلت أغنيتي «ليل يا ليل» على صوت الغد اعتقد المستمعون بأني الفنانة اليسا خاصة وأن جان صليبا هو أطلقها في البدايات. الاسم جميل وموسيقي وأعترضت عليه كثيراً خاصة وأني أحب اسمي الحقيقي ميريام. وفي الواقع ليس جان صليبا من أطلق الاسم عليّ.**

■ ومن الذي اختار الاسم دون موافقتك اذاً؟

■ **انها صاحبة احدى المجلات التي اتصلت لتبلغنا بأن الاسم موجود على غلاف مجلتها في الأسواق. فاذا بي أقرأ «ميليسا نكاية باليسا»، فلم يرق لي الأمر لأني لست في وارد فتح مشاجرات مع الغير والنجاح على ظهر أحد. وقد تدخلت شركة روتانا طالبة تغيير الاسم، لكن بعد نزول الفيديو كليب حاملاً الاسم لم يعد بالامكان التراجع.**

■ الا تشعرين بأن الاسم سيحمل اشكالية المقارنة مع اليسا على مدى العمر؟

■ **بالنهاية سوف ينسى الناس هذه المسألة ويركزون على الموهبة اذا كانت حقيقية. حالياً صرت أتابع عملي بشكل عادي وأتلقى الكثير من الأصداء من الناس بأني لا أشبه أية فنانة وبأن لي لوني الخاص بي وحدي.**

■ ألم تشعري بأن المنتج جان صليبا يسعى لحرب مع اليسا من خلالك؟

■ **لو كان لديّ أدنى احساس بذلك لما تابعت العمل معه.**

■ أطلق جان صليبا العديد من النجوم واختلف معهن. فهل في المستقبل سيحدث الأمر نفسه معك؟

■ **لا أحد يعرف المستقبل، لكن اذا حافظ جان صليبا على الالتزام بعملي فلن يكون مناسباً لي تركه. كذلك لا ألوم أيا من الطرفين في علاقته مع الفنانات الأخريات لأني لا أعرف الحقيقة من كليهما. ربما يكون الخطأ من الطرفين.**

■ هل ترين امكانية أن تكوني محتكرة لمنتج واحد على مدى العمر؟

■ **العمل هو الذي يحدد ذلك. اذا كان جان صليبا يقوم بعمله على أحسن وجه لماذا أتركه لعقد عمل آخر خاصة بعد أن تعب في اطلاقي.**

■ ماذا في تفاصيل السي دي الأول الذي سيصدر قريباً؟

■ **يتضمن السي دي 8 أغنيات وأغنيتين ريميكس ويحمل عنوان «بدي منك». وفي السي دي ألحان لجان صليبا اضافة الى لحنين جميلين من تركيا. وقد تعاونت مع الشعراء نبيل أبو عبدو ونادر عبدالله والياس ناصر، ومع الموزعين جان ماري رياشي وناصر الأسعد وبودي نعوم.**

■ هل كان بامكانك رفض لحن يختاره لك جان صليبا؟

■ **أكيد أرفض كل ما لا أحبه وما لا يليق بصوتي.**

■ في هذه المرحلة تكثر الجميلات في عالم الغناء وتقل لديهن الأصوات الجميلة فما رأيك بذلك؟

■ **أحمد الله أنه منحني الصوت والشكل معاً. الأهم في الفنان أن يكون قريباً من الناس، طبيعياً ومتواضعاً. أمس فرحت كثيراً عندما اتصلت بي طفلة في عمر الست سنوات لتقول بأنها تعلمت الرقص على أغنية «يا ليل يا ليل».**

■ ردود الفعل على الفيديو كليب الأول هل شجعك على المثابرة؟

■ **أكيد، وقد كانت ردة الفعل مفاجئة لي خاصة وأن الفيديو كليب محترم ومحتشم جداً وقد تحدث الناس به رغم كونه يسير بعكس السير كما يقال. لقد استندت في هذا الفيديو كليب على صوتي وأغنيتي الجميلة وليس على ملابسي وجسدي.**

■ ألن تغيري قناعاتك على صعيد الفيديو كليب مستقبلاً؟

■ **سوف ابقى ملتزمة بما بدأته ليس مراعاة لأهلي بل لأني على قناعة بما أقوم به.**

■ كل من تعاونوا مع جان صليبا غنوا بلاي باك لزمن طويل. ماذا بالنسبة لك؟

■ **أرفض البلاي باك لأنه يلغيني كمطربة ويجعلني ممثلة. ربما أغني بلاي باك في حفلات التلفزيون فقط وعندما أكون تعبة.**

■ قبل الغناء جربت حظك مع عالم الجمال فهل ترغبين أن تكوني نجمة غلافات؟

■ **نحن في عصر الصورة والجمال لكن هذا الجمال ننساه بعد دقائق عندما نلتقي بجميلة ما ويبقى التركيز على المضمون.**

■ هل دعمك لقب الجمال في الفن؟

■ **لم ألجأ اليه أبداً وقلة من الناس تعرف بهذا اللقب لأنه قديم العهد، كما أني نلته ولم أستعمله في أي من المجالات.**

■ كيف ستميزين نفسك في المستقبل؟

■ **حالياً أتابع تمارين الصوت لأن صقل الموهبة هو أساس النجاح.**

ميليسا (القدس العربي)

فيلم جديد على الطريق لباسل طنوس:

«عروس الجليل» يحصل على جائزتين من مهرجان السينما الدولي في حيفا

■ حيفا ـ من ميسون أسدي: يبدو أن فيلم «عروس الجليل» لن يكون الأخير لصاحبه المخرج باسل طنوس، فالجائزتان اللتان حصل عليهما الفيلم من المهرجان السينمائي الدولي، تحتم على المخرج انتاج فيلم جديد، فالجائزة الأولى عبارة عن 20,000 شاقل، وهو بمثابة منحة تطويرية من الصندوق الجديد للسينما والتلفزيون ـ حيفا والجليل.. أما الجائزة الثانية وهي عبارة عن 10,000 شاقل مقدمة على شكل خدمات مونتاج للفيلم القادم من استوديوهات تل أبيب.. وفي حديث مع باسل طنوس، قبل وبعد العرض، علمت منه ان الفيلم القادم سيكون عن مفهوم الصداقة المفقود، والذي يبحث عنه باسل عن طريق صديقة له لم يرها منذ 20 عاماً، أي منذ سنوات الدراسة الثانوية!

فيلم «عروس الجليل» اخراج باسل طنوس، انتاج ايتان حريس، سيناريو سهى عراف، تصوير ايتان حريس وميخا ليفني، مونتاج ميخا ليفني، موسيقى سمير مخول.

يشار الى ان بعض المهرجانات الدولية بدأت بالتوجه الى باسل طنوس، من أجل دعوته للمشاركة فيها. باسل طنوس في سطور:

● ولد في مدينة الناصرة لعائلة نصراوية سنة 1962

● درس الاخراج التلفزيوني في معهد الصحافة والاعلام التابع لجامعة موسكو وتخرج منها سنة 1988.

● عمل مصوراً صحافياً للعديد من الصحف العربية المحلية لبضع سنوات.

● 1994 عمل على التسجيل الصوتي في فيلم «ملف اختفاء» مع المخرج ايليا سليمان.

● 1995 عمل مديراً للانتاج في فيلم «درب التبانات» للمخرج علي نصار.

● 1996 تزوج من الهام دكور وانتقل للعيش في ترشيحا منذ ذاك.

● 1998 عمل مديراً للانتاج في مسلسل تلفزيوني لقناة art السابعة مع المخرج جورج خليفة.

● 1999 شارك في مهمة الانتاج في فيلم «الرحلة الداخلية» فلسطيني اسرائيلي من اخراج رعنان الكسندروفتش.

● 2000 عمل في تحقيق واعداد برنامج «على فكرة» في القناة الأولى الاسرائيلية.

● 2002 عمل مدير الانتاج في فيلم «اجتياح» مع المخرج نزار حسن.

● صور عددا من المسرحيات التي أنتجها مسرح الميدان.

● 2006 قام باخراج فيلمه الأول «عروس الجليل».

بعد غياب 3 سنوات عن الأضواء يعود بدور إذاعي في مسلسل «لو بتعزه»:

حسين الشربيني: «زهقت التمثيل» و45 سنة فنا تكفيني وزيادة!

القاهرة ـ «القدس العربي»

من عمر صادق:

يعود الفنان حسين الشربيني إلى الأضواء مرة أخرى بعد غياب 3 سنوات بسبب المرض واستقرار حالته الصحية حاليا. حسين يعود بدوره خلف ميكرفون الاذاعة في مسلسل «لو بتعزه» بطولة احمد رزق وأميرة فتحي واخراج عبد المقصود محمد. أقام العاملون بالمسلسل حفلا صغيرا بمناسبة عودة الشربيني لاستئناف نشاطه الفني وأحضر رزق وأميرة فتحي تورتة متوسطة الحجم وقاما بتقسيمها على العاملين بهذه المناسبة. يقول حسين الشربيني أشكر الله على هذه العودة المباركة الى الأضواء مرة أخرى بعد غياب 3 سنوات والطريف أن هذه العودة التزامن مع مرور 45 عاما من اشتغالي بالفن فقد بدأت عام 1961.

■ البعض قال ان تكريمك في المهرجان الأول للمسرح جاء متأخرا جدا؟

■ **غير صحيح الحمد لله انني كرمت وأنا على قيد الحياة، شيء رائع أن يتسلم الفنان شهادة ابداعه من المسؤولين عن الثقافة وهذا التكريم له أكثر من معنى وأنا على قيد الحياة، أما بعد الرحيل فلا يهم أحدا بمن فيهم أنا.**

■ من سأل عنك في رحلة مرضك الأخيرة؟

■ **أصدقائي من المقربين مثل محمد الدفراوي ونبيل الحلفاوي ومحمد وفيق وصبري عبدالمنعم والفنانة الجميلة أم القلب الكبير نادية لطفي، والحقيقة ان الاتصالات الهاتفية بيننا لا تنقطع أبدا، وأنا شاكر أفضالهم.**

■ مكثت في المنزل 3 سنوات بلا عمل، هل عرضت عليك أعمال انذاك؟

■ **كثير جدا، أبرزها من المخرج محمد النقلي والمخرج ياسين اسماعيل يسن وغيرهما ورفضتها جميعا.**

■ لماذا؟

أنا زهقت من التمثيل، من 45 سنة وأنا ممثل – اعتقد ان ذلك كفاية جدا. ان البيئة الفنية والمناخ بشكل عام لا يساعدان الفنان على الابداع ولن أتحرك من بيتي إلا للشديد القوي أن يكون هناك دور مؤثر ألعبه أما دون ذلك أعتبره تضييعا للوقت والجهد وأنا الآن وصلت الى مرحلة من حقي أن تكون لي وجهة نظر ورؤية في الاختيار.

■ غبت سنتين عن الأضواء وعدت للاذاعة، كيف ترى الموضوع؟

أنا فنان، الميكرفون والكاميرا وخشبة المسرح أكل عيش، ومهما غبت من الوقت والزمان فلا تغيب عني مهنة أحبها واخلصت لها واعطيتها عمري كله.

■ الدراما الاذاعية هل من السهل على الفنان الناشئ التعامل معها؟

■ **الجميع يستطيع أن يقدم ويؤدي دوره خلف الميكرفون، والمسألة تخضع في النهاية الى خبرة الفنان، فالممثل القديم لا يتساوى بالجديد، القديم عنده خبرات وتجارب سابقة اكتسبها من كثرة التعامل مع الدراما والممثل الجديد يحتاج الى الخبرة وأعتقد ان المستقبل مازال أمامه لاكتسابها وعندنا أمثلة كثيرة على ذلك عن فنانين شباب كانوا يخشون الميكرفون ومع الوقت اكتسبوا الخبرة والجرأة والتجارب العديدة.**

■ لماذا لم يحصل حسين الشربيني كفنان كوميديان على حقه الطبيعي كواحد من نجوم هذا الفن؟

■ **الحمد لله على كل شيء، أنا أخذت حقي من الدنيا ومن النجاح ولا احتاج في الوقت الراهن أي شيء.**

■ هل يعجبك النجوم الشباب في مجال الكوميديا، ومن لفت نظرك؟

■ **عندنا مجموعة متميزة جدا من النجوم الشبان في الكوميديا مثل محمد هنيدي ومحمد سعد وأحمد رزق وأحمد السقا وكريم عبد العزيز وأحمد حلمي، وكلهم طاقات ما شاء الله.**

■ بعض النقاد يقولون أن منحنى محمد هنيدي ومحمد سعد بدأ في الانخفاض؟

لا أعتقد لو انهما في طريقهما للأفول لحدث ذلك من عدة سنوات ولكن هنيدي وسعد مازالا يقدمان أفلاما تحقق جماهيرية كبيرة وايرادات عالية، ومن الصعب التكهن بان شعبيتهما في تدهور ونجوميتهما في أفول والنقاد لهم رأي، والجمهور ايضا له رأي وأرى أن رأي الجمهور أهم لأنه يقوم بدفع تذكرة السينما التي يشاهد بها أفلامهما.

■ جمهور زمان، هل اختلف عن الجمهور الحالي؟

■ **كل شيء تغير وليس الجمهور فقط جمهور زمان كان يحب الفنون ويحرص على مشاهدتها بانتظام، وكان صاحب رؤية نقدية وله وجهة نظر فيما يراه، جمهور اليوم فقد إرادته.**

■ وما السبب؟

■ **أشياء كثيرة، ما يقدم له من دراما اصبح مفروضا عليه وليس له اختيار سوى المشاهدة فقط.**

■ هل معنى ذلك ان الدراما الحالية أقل من المستوى؟

■ **لا بالعكس، فأنا أرى أن هناك انتفاضة حقيقية حدثت وبخاصة في السينما من خلال مجموعة متميزة من الشباب الواعي.**

■ اختفاء الطبقة المتوسطة حاليا من المجتمع، هل أثر على الذوق العام؟

■ **الطبقة المتوسطة كانت الترمومتر العام الذي نقيس به درجة ومستوى الفنون التي تقدم، وهذه الطبقة كانت رمانة الميزان في مصر ولا شك ان غيابها أثر كثيرا.**

■ «لو بتعزه» بداية استئناف نشاطك الفني حاليا، هل من سيناريوهات أو نصوص جديدة للعودة الى المسرح أو السينما؟

■ **الحقيقة أنا لا أستطيع العودة الى المسرح الآن لأن الصحة لا تحتمل المشقة خاصة ان المسرح يحتاج الى حركة اكثر وحيوية وانفعال، أما السينما فأنا لا أعمل بها منذ سنوات على عكس التليفزيون الذي أقرأ له سيناريو من حين لآخر.**

■ عودة مباركة؟

■ **متشكر قوي.**

حسين الشربيني في احد اعماله المسرحية (ارشيف القدس العربي)

فضائيات

«مخابراتهم» ليست أفضل من «مخابراتنا» اما اعلامهم فقادر على المحاسبة!

توفيق رباحي *

■ ابدأ من حيث توقفت الاسبوع الماضي بهذه الزاوية. ديفيد بلانكيت نصح بضرب اجهزة ارسال قناة «الجزيرة» ليرتاح منها هو وعصابة «العرّابين» هناك في البيت الاسود.

قلت انني لن استغرب لو في يوم من الايام اكتشف العالم ان قادة في وزارة الدفاع الامريكية وافقوا على اغتيال الصحافية اطوار بهجت، او ان في اجهزة المخابرات الامريكية او البريطانية، او الاثنين معا، كانت هناك خلايا مهمتها التفكير والاقتراح (للحكومة والجيش) في كيفية اسكات الصحافيين الذين يختلفون مع الاحتلال الامريكي للعراق وافغانستان، وان هذه الخلايا وضعت قوائم باسماء صحافيين «يُنصح» بـ«التعامل معهم»، اي قتلهم.

سأتذكر دائما ما سمعته قبل سنين من صديق اثق في ذكائه واحكامه: نحن في بلدان لا يجب الوثوق فيها حتى بالحجر. هب أنك تستظل تحت شجرة وسقطت فوق كتفك ورقة يتيمة. من حقك ان تشك في انه ليس سقوطا بريئا وان تفترض ان وراءه شيئا ما.

قلت «هذه فوبيا.. وانت تبالغ يا رجل!».

***

قبل سنتين بثت قناة «ارتي» الالمانية ـ الفرنسية تحقيقا بارعا من عدة حلقات عن تعاطي البيت الابيض الامريكي مع الازمات الخارجية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية الى سقوط الاتحاد السوفييتي في 1990. جاء ذلك على لسان مَن ما زالوا على قيد الحياة من وزراء دفاع ومدراء «سي آي اي» ومستشاري الامن القومي وغيرهم من الضالعين مباشرة في افتعال الازمات في القارات الخمس ثم ادارتها وانهائها.

بدون ان اغرق في التفاصيل اقول ان ما تخرج به من مشاهدة الحلقات، هو ان فرضية الورقة فوق الكتف تحت شجرة ليست جنونا او فوبيا! ذلك ان كثيرا من الاحداث التي كانت في حينها تبدو «طبيعية» ومقبولة ويجتهد المحللون في تحليلها، ليست سوى مكائد ومؤامرات يتلقى موظفون كبار مرتبات ويصرفون اموالا طائلة في حبك ادق تفاصيلها والسهر على تنفيذها.

النتيجة الاخرى هي ان لا شيء يقف في وجه ما يسميه الفرنسيون «Raison d'Etat» (منطق الدولة)، لا حياة انسان لانها تتحول الى مجرد رقم في قائمة تافهة، ولا مال ولا مبادئ ولا هم يحزنون.

هذه الايام يدور في بريطانيا نقاش مماثل تسببت فيه هيئة الاذاعة البريطانية (بي بي سي) من خلال تحقيق تلفزيوني عن طائرة بريطانية كانت متجهة الى الهند فجر الخميس 2 اب (اغسطس) 1990 وتوقفت بالكويت.

قبيل اقلاع الطائرة من لندن في ذلك اليوم قفز على متنها، في اخر لحظة، تسعة اشخاص بطريقة «غير طبيعية»، حسب الكابتن الذي اوضح ان الشبان التسعة لم تكن بحوزتهم تأشيرات دخول وقالوا انهم مهندسون وفنيون.

في الجو بين لندن والخليج أُذيع خبر دخول الجيش العراقي للكويت واحتلاله العاصمة كويت سيتي. رغم ذلك سمحت السلطات البريطانية لطائرتها بالنزول.. برغم الغموض الذي كان يحيط بالكويت العاصمة وما يسببه من مخاطر على الركاب، وهم مواطنون بريطانيون نعتقد جميعا انهم عزيزون على حكوماتهم. نزلت الطائرة فاحتجزها الجيش العراقي المسيطر على المطار وبدأت رحلة معاناة لا قبل للمسافرين المساكين بها. من بين ما ذُكر ان العراق استعمل بعض المسافرين دروعا بشرية في مواقع حساسة اعتقد ان التحالف الدولي بقيادة امريكا سيقصفها لاحقا.

اما الهدف من نزول الطائرة في الكويت فكان انزال الشبان التسعة الذين لم يكونوا سوى ضباط مخابرات قررت الحكومة البريطانية، برئاسة البارونة مارغرت ثاتشر آنذاك، زرعهم في الكويت لجمع المعلومات عن حالة البلد تحت الاحتلال.

ما كان مجرد رحلة عادية كمئات الرحلات التي تنطلق يوميا من مطارات بريطانيا، تحولّت الى كابوس لا زال ركاب تلك الرحلة المشؤومة يدفعون ثمنه اليوم. وما كان يبدو توقفا عاديا لرحلة اكثر من عادية في يوم صيفي هادئ، يتضح اليوم انه مغامرة بحياة 389 راكبا بينهم اطفال ونساء. وما اعتقد المسافرون وعائلاتهم ومن ورائهم البريطانيين طيلة 16 سنة انه خطأ او سوء تقدير قاد الى مأساة، يتضح اليوم انه عبث في ازمة لا تعني بريطانيا مباشرة في منطقة ملتهبة لم يكن باستطاعة احد توقع ما كانت تخبئ لها الايام.

والنقاش المحرج الذي تسببت فيه «بي بي سي» هو ان الحكومة البريطانية كانت على علم بتحرك الجيش العراقي نحو الكويت وباحتلالها. ورغم ذلك اذنت للطائرة بالنزول بدل ابعادها عن جغرافيا الخطر.

نحن، اذاً، امام اكثر من خيانة لعل اخرها ان «الخبير» الذي طلبت «بريتش ايرويز» استشارته بشأن الوضع في الكويت وامكانية توقف الطائرة بها، لم يكن سوى احد منتسبي المخابرات الخارجية البريطانية (ام آي 6)، اي «حاميها حراميها». وانسجاما مع المؤامرة قال «الخبير» ان «الامن مستتب» وان الطائرة تستطيع التوقف دون خطر على حياة الركاب.

في مثل هذه الحالات من السهل ان يتنصل السياسيون من المسؤولية: ضباط المخابرات ملزمون بواجب الصمت. البارونة ثاتشر امتنعت عن التعليق وجون ميجر الذي خلفها في الحكومة وفي ادارة الازمة قال انه تكلم وتصرف في الموضوع على ضوء ما مُنح من معلومات وبدون نية للكذب او التغليط. اما الجواسيس التسعة (اعتقل الجيش العراقي منهم اثنين) فقال بعضهم لـ«بي بي سي»، مع اشتراط عدم كشف هويتهم، انهم كانوا تحت تصرف الدولة والحكومة. وقالوا ان «الغاية تبرر الوسيلة» لان ما قاموا به «افاد كثيرا وانقذ حياة اناس اخرين».

لم يقولوا كم حياة أُنقذت بتلك المغامرة. ولم يقولوا هل هي حياة مدنيين او عسكريين. ولم يقل احد ان كان الامر يستحق المغامرة بطائرة على متنها ركاب ابرياء استُعملوا دروعا مرتين: الاولى من حكومة بلادهم التي انزلتهم في الكويت. والثانية من جيش العراق الذي احتجزهم وابتز بهم الحكومات الغربية.

اليوم يطالب الضحايا الذين بينهم طفلة اصبحت امرأة فوق العشرين، ورضيع هو اليوم مراهق، بتعويضات مادية مستعينين بما انجزته «بي بي سي». احدهم قال «نستحق على الاقل تفسيرا لما حدث».

***

جرى هذا في الغرب الذي يعتقد «الاخرون» ان اغلى ما لديه هو الانسان. وهو فعلا كذلك ونتأكد جميعا عندما يُسجن مواطن امريكي او بريطاني في دولة عالمثالثية (او حتى متقدمة). لكن «منطق الدولة» اقوى من حسابات المبادئ والسيادة وحقوق الانسان وغيرها من الشعارات التي نتلذذ بسماعها وقراءتها يوميا هنا وهناك.

هذا «المنطق» قوي ايضا في البلدان الاخرى. في البلدان العربية التي شبّت بها اجيال تعتقد ان المخابرات تحول بين المرء وزوجه.

الفرق ان لديهم مؤسسات اعلامية قوية ومستقلة الى حد بعيد تكشف ما امكن من الفضائح. ولهم رأي عام يثق بهذه المؤسسات الاعلامية ويستفيد منها في المساءلة والمطالبة بحقوقه. ولهم حكومات عندما «تُزنق في خانة اليَك» تعترف وتحاول اصلاح ما يمكن اصلاحه.

نحن ليس لدينا شيء من هذا القبيل، وفوق ذلك حكومات عندما «تُحشر في الزاوية»، تسحب سفراءها من الدوحة برغم ان ما تبثه «الجزيرة» لا شيء قياسا بما توصلت اليه تحقيقات وتحريات محطات تلفزية غربية.

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات